The Rhetorical Interruption: Its Grammatical Provisions and Role in Conveying Meaning - The Seventh Verse from Surat Al-Imran as a Model

Dr. Ahmad Ibrahim Saleh Ahmad*
Dr. Fadhl Khalil Al-Sheikh**

(Received 29 / 9 / 2024. Accepted 31 / 10 / 2024)

□ ABSTRACT □

This study examines the rhetorical interruption in the seventh verse of Surat Al-Imran, identifying its occurrences and analyzing them descriptively and analytically. It elucidates their relation to the preceding verses, whether in adjacent sentences or distant ones. The research highlights the coherence in the textual structure of these noble verses and the harmony of their meanings from a rhetorical perspective, represented by semantic and pragmatic constraints, the overall macrostructure of the discourse, and repetitive referencing. It diverges from the causal relationship in the text that relies on grammatical connections between sentences.

The study begins with a theoretical introduction that delves into the linguistic meanings of both "interruption" and "rhetoric," as well as the idiomatic meaning of rhetorical interruption. It clarifies the distinction between grammatical interruption and rhetorical interruption, underscoring its impact on the purpose for which this study was conducted—namely, to reveal the significance of rhetorical interruption. Subsequently, it provides a prelude to the applied study within the context of the Surah to demonstrate the textual cohesion among its verses and topics.

Grammatical interruption refers to a new sentence syntactically separated from its predecessor, whereas rhetorical interruption clarifies what preceded it and enhances the meaning by answering an implied question. The former focuses on structure, while the latter emphasizes meaning.

Rhetorical interruption adds rhetorical value to any text. Although rhetorical and grammatical interruptions may appear similar in sentence structure, they differ in the meaning conveyed through the connection between the sentences. In the Quran, rhetorical interruptions appear frequently, though scholars sometimes agree and other times disagree on their classification.

Finally, the study concludes with the researcher's insights, derived from the interpretations and opinions of scholars of rhetoric and Quranic exegesis, as well as from what Allah has guided the researcher to understand in the context of the noble verses.

Keywords: Rhetoric – Grammar – Holy Quran – Linguistic Significance.

Copyright **:**Tishreen University journal-Syria, The authors retain the copyright under a CC BY-NC-SA 04

* **Part-Time Lecturer – The University of Jordan – Amman, Jordan**
****Assistant Professor, Department of Arabic Language - Faculty of Arts – Al al-Bayt University - Mafraq, Jordan**

الاستئناف البيانيّ / أحكامه النحويّة ودوره في أداء المعنى
الآية السابعة من سورة آل عمران نموذجًا

د. أحمد إبراهيم صالح أحمد*

د. فضل خليل الشيخ**

(تاريخ الإيداع 29 / 9 / 2024. قبل للنشر في 31 / 10 / 2024)

□ ملخّص □

يدرس هذا البحث الاستئناف البيانيّ في الآية السابعة من سورة آل عمران، يحدّد مواضع الاستئناف فيها ويدرسها دراسة وصفيّة تحليليّة؛ ويبيّن علاقتها بالآيات السابقة لها؛ إن بالجمل الملاصقة أم بالجمل البعيدة، ويظهر التماسك في البنية النصّية لهذه الآيات الكريمة، وانسجام معانيها من منطلق بيانيّ يتمثل الضابط الدلاليّ والتداوليّ والبنية الكبرى الكلية للخطاب والإحالة التكراريّة، وبعيدًا عن العلاقة العامليّة في النصّ التي هي من باب الربط النحويّ بين الجمل.

ويقدّم بين يدي ذلك كلّه تمهيدًا فيه دراسة نظريّة تناولت المعاني اللغويّة لكلّ من الاستئناف والبيان، ومعنى الاستئناف البيانيّ اصطلاحًا. ويجّلي الفرق بين الاستئناف النحويّ والاستئناف البيانيّ لما لذلك من أثر في تبيان الغاية التي كتب من أجلها البحث في إظهار المغزى من الاستئناف البيانيّ، ثمّ يقدّم . كذلك . توطئة للدراسة التطبيقيّة في ظلال السورة إظهارًا للتماسك النصيّ بين آيات السورة وموضوعاتها.

يشير الاستئناف النحوي إلى جملة جديدة منفصلة إعرابيًا عن سابقتها، بينما يوضح الاستئناف البياني ما قبله ويعزز المعنى بإجابة سؤال مقدر .ويهدف النحوي إلى التركيب، بينما البياني يركز على إبراز الدلالة.

يضفي الاستئناف البيانيّ قيمة بلاغيّة على النصّ – أيّ نصّ –، وقد يتشابه الاستئناف النحويّ والاستئناف البيانيّ من حيث تركيب الجمل؛ ولكنّ الفرق بينهما في المعنى الذي يؤديه ترابط تلك الجمل فيما بينها؛ وفي القرآن الكريم مواضع كثيرة في الاستئناف البيانيّ، وهي ليست محلَّ إجماع دائمًا لدى العلماء، فيتفقون حينًا ويختلفون أحيانًا.

وأخيرًا ينتهي البحث إلى آراء الباحث استخلصها معتمدًا على ما قاله العلماء من البلاغيين والمفسّرين من تلك الآيات، وما هداه الله تعالى إليه من آراء في ضوء ما يُفهم من سياق الآيات الكريمة.

الكلمات المفتاحيّة: البيان – النحو – القرآن الكريم – الدلالة اللغوية.

حقوق النشر :مجلة جامعة تشرين- سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

* **محاضر غير متفرّغ – الجامعة الأردنية – عمّان – الأردنّ**

** **أستاذ مساعد، قسم اللغة العربيّة – كلية الآداب – جامعة آل البيت – المفرق – الأردنّ**

مقدّمة:

ثمّةَ بعض المصطلحات النحْويّة التي لم تحظَ بحضور كبير في التنظير النحْويّ لدى النحاة القدامى؛ لكنّها وجدت حضورًا في عمل المفسّرين القدامى في تحليل النصّ القرآنيّ والنظر في تعالقات آياته وتناسبها ومواطن الانسجام فيه، ومن هذه المصطلحات: "الاستئناف البيانيّ" الذي هو موضوع هذه الدراسة.

ويسعى البحث إلى تجلية هذا المصطلح نظريًا كما ظهر في عمل النحاة والمفسرين ورصد أحكامه النحْويّة، ثمّ تبيان دوره في أداء المعنى ووظائفه النصّيّة في الآية السابعة من سورة آل عمران، ومردّ اختيار هذه الآية أنّ الباحث وجد فيها ضالّته، وشدّهُ فيها إحكام آياتِها، والوحدة العضويّة بينها، والخيط الواصل بين موضوعاتها ظهر أم خفي، وكان من أهداف هذا البحث – على قصره – إظهار ما استطاع الباحث إظهاره من ذلك الخيط الخافي، ممّا اطّلع عليه من أقوال العلماء والمفسّرين، وما هداه الله تعالى إليه من آراء.

يقدم هذا البحث تحليلا نوعياً حيث يركز الباحث على **العلاقة الدلالية** بين الجمل ويستخدم آراء المفسرين مثل الطاهر بن عاشور والجرجاني لتوضيح دور الاستئناف في النص. ويعتمد على التحليل البلاغي التقليدي لتوضيح العلاقة بين الجمل المحكمات والمتشابهات في النص.

بينما الأبحاث التي تستخدم البرمجيات اللغوية تقدم تحليلاً كمياً للنصوص القرآنية باستخدام برمجيات النصوص من خلال عدد مرات ظهور كلمة أو ضمير معين والعلاقات النصية الدلالية المتكررة. ويبرز البحث العلاقات اللغوية والإحصائية باستخدام أدوات رقمية لتحليل النصوص، مما يوفر رؤية شمولية للعلاقات النصية.

ويتكامل النصين من خلال البحث الحالي الذي يمكن أن يوجه البرمجيات لتحديد المواضع الدلالية ذات الأهمية.

بينما البحث الرقمي يمكن أن يعزز التحليل النوعي بإظهار الأنماط النصية المخفية.

مشكلة الدراسة

تكمن مشكلة الدراسة في محاولة معالجة الندرة والتبعثر الذي يعاني منه مفهوم "الاستئناف البيانيّ" في كتب النحاة والمفسرين، حيث لم يُفرد هذا المصطلح بدراسة مستقلة أو في باب واحد، بل بقيت معلوماته متناثرة بين أبواب متعددة في النحو والبلاغة. يسعى البحث إلى رسم صورة متكاملة لأحكامه ووظائفه النحوية والبلاغية، مع التركيز على دوره في أداء المعنى وتحقيق التماسك النصي في القرآن الكريم، مستعرضًا السياقات المختلفة التي يظهر فيها هذا المصطلح من خلال منهج يجمع بين التحليل التقليدي والحديث.؛ ذلك أنّ هذا المصطلح لم يفرد في باب واحد، والمعلومات بشأنه نزرة قليلة ومبعثرة في عدد من الأبواب، كما أنّه من المسائل المشتركة بين علمي النحو والبلاغة.

كما أنّ دوره التطبيقيّ في أداء المعنى لم يظفر بدراسة مستقلة – فيما أعلم – ويسعى هذا البحث لسدّ ذلك النقص في البحث اللغويّ المتّصل بالقرآن الكريم. تهدف الدراسة إلى سد الفجوة الناتجة عن التبعثر في دراسة الاستئناف البياني عبر جمع وتحليل المعلومات المتناثرة حول هذا المصطلح في كتب النحاة والبلاغيين، مع التركيز على توضيح علاقته بعلم النحو والبلاغة. كما تسعى إلى تقديم رؤية شاملة لوظائفه في النص القرآني وتحليل دوره في تحقيق المعنى والانسجام بين الجمل كما تهدف إلى تحليل الاستئناف البياني في الآية السابعة من سورة آل عمران من خلال استعراض الآراء التفسيرية وتوضيح دوره في التماسك النصي والانسجام الدلالي.

أمّا أهمّيّة هذه الدراسة فتتجلّى في حضور هذا المصطلح في عمل المفسّرين؛ ومعنى ذلك أنّ موضوع الاستئناف البيانيّ له أهمّيته في بناء العلاقات الناظمة للنصّ القرآنيّ، وبذلك له دورٌ واضحٌ في الجانب الدلاليّ للنصّ القرآنيّ،

كما تتجلّى – أيضًا – في توفير مادّة نظريّة متكاملة لمصطلح بينيّ في علوم النحو والبلاغة والتفسير، ولم يحظَ بدراسة مستقلّة في أداء المعنى كما يظهر في عمل المفسّرين.

واعتمد البحث على المنهج الوصفيّ التحليليّ؛ إذ استقرى كلّ ما يتّصل بالاستئناف البيانيّ ورصد علاقته بالاستئناف النحْويّ وفرّق بينهما، وجمع ما تناثر من أحكامه في كتب النحو والتفسير والبلاغة، ثمّ استقرى مواضع الاستئناف البيانيّ في النصّ النموذج وحلّلها للوقوف على دوره في تماسك الخطاب وأداء المعنى.

وتطبيقًا لهذه الغاية فقد تألّف البحث من قسمين: **أحدهما** نظريّ تناول حدّ المصطلح؛ معنى الاستئناف والبيان؛ (لغةً) ومعنى الاستئناف البيانيّ (اصطلاحًا) والفرق بين الاستئناف البيانيّ والاستئناف النحْويّ، وتناول الجزء الأخير منه حديثًا مقتضبًا عن سورة آل عمران (في ظلال السورة). **والآخَر** تطبيقيّ وقف فيه الباحث على دور الاستئناف البيانيّ في أداء المعنى ودلالته النصيّة ودوره في بناء الخطاب في الآية السابعة من سورة آل عمران وتحليلها وصولاً إلى صورة حيّة لمفردة الاستئناف البيانيّ كما تجلّت في النصّ الكريم.

ولمّا كانت الدراسة وصفيّة تحليليّة؛ فقد غلب على القسم النظريّ منها العرض والوصف، وامتاز القسم الثاني بالتحليل والمناقشة.

ولأنّ الباحث لا يدّعي الاكتمال في هذه الدراسة، وأنّى له ذلك؟ فهو يستذكر في هذا قولَ أستاذ البلغاء القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني معتذرًا للعماد الأصفهانيّ عن كلام استدركه عليه: إنّي رأيتُ أنّهُ لا يكتب أحدٌ كتابًا في يومه إلّا قالَ في غده: لو غُيّر هذا لكانَ أحْسن، ولو زِيد هذا لكان يُستحْسن، ولو قُدّمَ هذا لكان أفْضل، ولو تُرِكَ هذا لكان أجْمل، وهذا من أعظم العِبَر، وهو دليلٌ على استيلاء النقصِ على جُملة البشر.

واللهَ أسألُ أنْ يزيد بهذا العمل – على تواضعه – في نفع كلّ من جعل العلم غايةَ مبتغاه، وأن يجعله – سبحانه – خالصًا لوجهه، لا أبتغي أحدًا سواه، شكرًا لفضله وطلبًا لرضاه.

أولاً:

في حدّ المصطلح

أ. الاستئناف لغةً:

الاسْتِئنافُ: الابْتِداء، وكذلك الائْتِناف، فهما استِفْعالٌ وافْتِعال، وأُنْفة الشيء: ابتِداؤه؛ واستَأنفَ الشيءَ واتَنَفَه: أَخذَ أوّلَه وابتدأَه، وقيل: استقبَلَه، وأنا آتَنِفُه ائْتِنافًا. وقال الزجّاج في قوله تعالى: "مَاذَا قالَ آنِفًا"[1]؛ أي ماذا قال الساعةَ في أوّل وقتٍ يَقْرُبُ منّا، ومعنى (آنِفًا) من قولِكَ استأْنَفَ الشيءَ إذَا ابتدأَه، وفي حديث ابن عمر، رضي اللَّه عنهما: "إنَّما الأمر أُنُف"؛ أَي يُسْتأْنفُ استِئْنافًا من غير أن يَسبقَ به سابِقُ قضاءٍ وتقدير، وإنّما هو على اختيارك ودخولِك فيه؛ استأْنفت الشيءَ إذا ابتدأْته. وفي الحديث: "لِكُلِّ شَيْءٍ أُنْفةٌ، وأُنْفَةُ الصلاةِ التَّكْبِيرَةُ الأُولى". واسْتَأْنَفَه بوعد: ابتدأَه من غير أن يسأله إيّاه[2].قد يأتي الاستئناف البياني لتعليل أو تفسير ما سبق، وغالبًا ما يوضح معنى سابق،

([1]) **سورة محمّد 16.**

([2]) **انظر: لسان العرب (ج9/ ص 14، 15)، وتاج اللغة وصحاح العربية (ج/ 1333)).**

ويختلف عن النحوي في عدم الحاجة إلى الانقطاع الإعرابي. وفي معجم الوسيط: "(اسْتَأْنف) الشَّيْء[3] ائتنفه، واستأنف الحُكم: طلب إعادة النّظر فيه (محدثة)، وفي المثل: "في التجارب علم مُسْتَأْنف جديد"، و(الاسْتِئْناف): طريق الطعْن على الحكم بِرَفْعِهِ إلى المحكمة الأعلى من المحكمة التي أصدرته لإلغائه أو تعديله (مج)"[4].

وقد جاء في المعجم التاريخيّ من معاني استأنف: **[11هـ =632م] استَأْنَفَ الأَمرَ: اسْتَقْبَلَهُ.** قال يُجيبُ مَن سألَ عن بعض ما اقْتَرَفَهُ في الجاهليّة: "إِنَّ اللهَ قَدْ وَضَعَ عَنِ الجَاهِلِيَّةِ مَا عَمِلُوا، فَاسْتَأْنِفْ عَمَلَكَ" حديث نبويّ[5].

واستَأْنَفَ الأَمْرَ: بَدَأَهُ.

"يَا رَسُولَ اللَّهِ، فِيمَ نَعْمَلُ؟ أَفِي شَيْءٍ قَدْ خَلَا أَوْ مَضَى أَوْ فِي شَيْءٍ يُسْتَأْنَفُ الآنَ؟ رجل من المسلمين[6].

ومن معانيه – كذلك – **[180 هـ =796م] استأْنَفَ الكَلَامَ : تَابَعَهُ بَعْدَ قَطْعِهِ.** "وَأَمَّا قَوْلُ رُؤْبَةَ، فَعَلَى أَنَّهُ جَعَلَ نَصْرًا عَطْفَ البَيَانِ وَنَصَبَهُ، كَأَنَّهُ عَلَى قَوْلِهِ يَا زَيْدُ زَيْدًا. وَأَمَّا قَوْلُ أَبِي عَمْرٍو، فَكَأَنَّهُ اسْتَأْنَفَ النِّدَاءَ". سيبويه[7] .[8]

وورد في المعجم التاريخيّ كذلك:

*** واستأْنَفَ الشيءَ، وبِهِ: ابْتدأَهُ من جديد بعد انقِطاعه أو تَمامه.**

- العصر العبّاسي (133هـ / 750م إلى 656هـ/ 1258م):

قال مالك بن أنس (ت: 179هـ / 795م) يشرح بعض أحكام الظِّهار: "إذا ظاهَرَ فَصامَ ثُمَّ مَرِضَ؛ فَإِنَّهُ إِنْ صَحَّ؛ بَنى عَلى ما صامَ، فَإِنْ فَرَّطَ حينَ صَحَّ؛ اسْتَأْنَفَ بِالشَّهْرَيْنِ"[9].

- عصر الدول والإمارات (657هـ / 1259م إلى 1213هـ / 1798م):

قال ابن الأَبّار (ت: 658هـ = 1260م):

فَاسْتَأْنَفَتْ نَفْسي بِحُكْمِ شَقائِها خَوْضًا لِأَهْوالٍ عَلى أَهْوالِ[10]

([3]) استَفْعَلَ: كثر استعمالها فى ستة معان: أحدها: الطلب حقيقة، كاستغفرت الله: أى طلبت مغفرته، أو مجازًا كاستخرجت الذهب من المعدن، سُمِّيَتِ الممارسة فى إخراجه، والاجتهاد فى الحصول عليه طلبًا، حيث لا يمكن الطلب الحقيقي وثانيها: الصيرورة حقيقة، كاستحجر الطين، واستحضن المُهْرُ: أى صار حَجَرًا وَحِصَانًا، أو مجازًا كما فى المَثَل: إن البُغاثَ بأرْضِنا يَسْتَنْسِرُ. أى يصير كالنِّسر فى القوة. والبُغاثَ: طائر ضعيف الطيران، ومعناه: إن الضعيف بأرضنا يصير قويًّا، لاستعانته بنا. وثالثها: اعتقاد صفة الشيء، كاستحسنتُ كذا واستصوبته، أى اعتقدت حسنه وصوابه. ورابعها: اختصار حكاية الشيء كاسترجع، إذا قال: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ راجعون. وخامسها: القوة، كاسْتُهْتِرَ واستكبر: أى قوى هِتْرُه وكِبره. وسادسها: المصادفة، كاستكرمت زيدًا أو استبخلته: أى صادفته كريمًا أو بخيلاً. وربما كان بمعنى أفعَلَ، كأجاب واستجاب، ولمطاوعته كأحكمته فاستحكم، وأقمته فاستقام. ثم إنّ باقى الصيغ تدل على قوة المعنى، زيادة على أصله، فمثلاً اعشوْشَبَ المكانُ يدل على زيادة عُشْبه أكثر من عَشب، واخشوشَنَ يدلّ على قوة الخشونة أكثر من خَشُن، واحمارَّ يدل على قوة اللون، أكثر من حَمُر واحمرَّ وهكذا. انظر: [شذا العرف في فن الصرف].

([4]) المعجم الوسيط (ج1/ ص30)، و(مج) معناها: لفظة معجميّة.

([5]) مسند الدّارمي المعروف بـ(سنن الدارمي)، (ج1/ ص153).

([6]) مسند الإمام أحمد ابن حنبل، (ج1/ ص316).

([7]) كتاب سيبويه، (ج2/ ص186).

([8]) معجم الدوحة التاريخيّ.

([9]) المدونة الكبرى، (ج2/ ص 332).

- العصر الحديث (1214هـ / 1798م إلى 1523هـ / 2100م):

قال الشّوكانيّ (ت: 1250هـ = 1834م): "وَقَدِ اسْتَدَلَّ الْمُصَنِّفُ بِحَدِيثِ أَنَسٍ وبُرَيْدَةَ الْمَذْكورَيْنِ عَلَى جَوازِ صَلاةِ مَنْ قَطَعَ الِائْتِمامَ بَعْدَ الدُّخولِ فيهِ لِعُذْرٍ وأَتَمَّ لِنَفْسِهِ، وجَمَعَ بَيْنَهُ وبَيْنَ ما في الصَّحيحَيْنِ مِنْ أَنَّهُ سَلَّمَ ثُمَّ اسْتَأْنَفَ بِتَعَدُّدِ الواقِعَةِ"(11).

*** واستَأْنَفَ الصَّلاةَ (في الفِقْهِ): أعادَها مِنْ أَوَّلِها بَعْدَ أَنْ قَطَعَها.**

- العصر العبّاسي:

قال محمّد بن الحسن الشَّيْبانيّ (ت: 189هـ = 805م) يعلّق على حديث ابن عمر أنّه كان إذا رعَفَ رجعَ فتوضّأَ ولم يتكلَّمْ ثمَّ رجع وبنى على صلاته: "فَهَذا الحَديثُ يَدُلُّ عَلى خِلافِ ما قالوا في اسْتِئْنافِ الصَّلاةِ والوُضوءِ".(12)(13)

وربما أكثر ما يعنينا في هذا البحث من معاني الاستئناف هو المتابعة والبدء بعد التوقف، ذلك أنّ البحث قائم على الاستئناف البيانيّ في شاهد من شواهد القرآن الكريم.

ب. البيان لغةً:

البيان في اللغة: الكشف والإيضاح(14)، وقال الجاحظ: "هو اسم لكل شيء كشف لك بيان المعنى، وهتك لك الحجب، دون الضمير – حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله، كائنًا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان ذلك الدليل – لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الأفهام، وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع"(15).

ج. الاستئناف البيانيّ (اصطلاحًا):

عرّف علماء البلاغة الاستئناف بأنّه: "الإتيان بعد تمام كلام بقولٍ يفهم منه جواب سؤالٍ مقدّر"(16)، وهذا ما ذهب إليه السابقون(17)، و"منه ما يكون بإعادة اسم أو صفة كقولك: أكرم زيدًا فزيدٌ أهل الإكرام، أو أكرم زيدًا صديقك الصدوق، كأنّه توهّم أنّ قائلًا يقول له: لم يكرم زيد؟ فكان استئنافه كالجواب لذلك.. وقد يكون الاستئناف بما ليس فيه إعادة اسم ولا صفة، كقوله تعالى: [قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ](18)، ثم الجواب بقوله: – بل فعله كبيرهم هذا –، واستأنف – فاسألوهم إن كانوا ينطقون – تنبيهًا على أنّ جوابه كان تهكّمًا بهم، وليس على حقيقته، وأنّ من لا ينطق كيف يفعل هذا؟ بل كيف يكون إلهًا؟ وهذا النوع في الكلام

([10]) ديوان ابن الأبّار. تح: الهراس، (ص263).

([11]) الشوكاني، نيل الأوطار، (ج3/ ص 174).

([12]) الحجة على أهل المدينة، (ج1/ ص 293).

([13]) المعجم التاريخيّ للغة العربيّة/ مجْمع اللغة العربيّة بالشارقة.

([14]) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع (ص 216).

([15]) البيان والتبيين (ج1/ ص11).

([16]) الأقصى القريب في علم البيان، (ص 68).

([17]) معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها، (ص 61).

([18]) الأنبياء 62، 63.

كثير، وهو من لطيف البيان، ولا ينبغي أن هذا يعدّ من الحذف؛ لأنّ المتكلّم ما حذف من كلامه شيئًا، وإنّما السؤال لم يقع، فكان هذا جوابه لو وقع"[19].

وقسّم علماء البلاغة المتأخرون الاستئناف ثلاثة أضرب[20]، لأنّ السؤال الذي تضمنته الجملة الأولى، إمّا عن سبب الحكم فيها مطلقًا، كقول الشاعر:

قالَ لي: كَيفَ أنْتَ؟ قُلْتُ: عَليلُ سَهَرٌ دائِمٌ وَحُزْنٌ طَويلُ

أي: ما بالكَ عليلًا؟ أو ما سبب علّتك؟

وإمّا عن سبب خاصّ له، كقوله تعالى: [وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ][21]، كأنّه قيل: هل النفس أمّارةٌ بالسوء؟ فقيل: إنّ النفس لأمّارةٌ بالسوء. وإمّا عن غيرهما، كقوله تعالى: [قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ][22]، كأنّه قيل: فماذا قال إبراهيم – عليه السلام –؟ فقيل: قال: سلام.

وقد يحذف صدر الاستئناف لقيام قرينة، كقوله تعالى: [يُسَبح لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ* رِجَال][23]، فيمن قرأ (يسبّح) مبنيًا للمفعول.

وقد يحذف الاستئناف كلّه، كقول الشاعر:

زَعَمْتُمْ أَنَّ إِخْوَتَكُمْ قُرَيْشٌ لَهُمْ إِلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلافُ

حذف الجواب الذي هو: كذبتم في زعمكم، وأقام مقامه: " لَهُمْ إِلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلافُ" لدلالته عليه.

وقد يحذف ولا يقام شيءٌ مقامه، كقوله تعالى: [نِعْمَ الْعَبْد][24]، أي: "أيوب" أو "هو" لدلالة ما قبل الآية وما بعدها عليه. ونحو قوله: [فَنِعْمَ الْمَاهِدُون][25]، أي: نحن[26].

قال السمين الحلبيّ: "المستأنَف يُؤتى به تفسيرًا لما قبله، إلا أنَّ الفرق بينه وبين ما قبله أنّ الوجه الذي قبلَه لا تَجْعَلُ له تعلُّقًا بما تقدّم ألبتة، بل جيء به لمجرد الإخبار بما تضمَّنه"[27]، والذي يظهر للباحث أنّ الاستئناف البيانيّ هو تلك الإفادة التي تحصل للمتلقّي (السامع أو القارئ) بعد قول غير مكتمل المعنى لديه، وأنّ الجملة الاستئنافيّة جملة معلِّلة؛ تعلّل ما قبلَها، قال الشاعر:

([19]) الأقصى القريب في علم البيان، (ص 68).

([20]) الإيضاح في علوم البلاغة.

([21]) يوسف: 53.

([22]) هود: 69.

([23]) النور: 36، 37.

([24]) ص: 30، 44.

([25]) الذاريات: 48.

([26]) انظر معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها، (ص 62،63).

([27]) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون.

وَتَظُنُّ سَلمى أَنَّني أَبْغِي بِها بَدَلًا، أَراها في الضَلالِ تَهيمُ

فانتهى الكلام المفيد للمعنى عند قوله: بدلًا، وجملة: "أراها في الضلال تهيم" استئنافيّة، تعلّل ما سبقها من قوله: تظنّ أنّني أبغي بها بدلًا.

وارتبط مفهوم الاستئناف البياني بمصطلحَي الوصل والقطع في البلاغة العربيّة، وهو وصل الجُمل وقطعها عن بعضها؛ فالذي يربط الجملةَ بسابقتِها رابطٌ قد يكون خفيًّا، معلومًا أم غير معلوم(28)، وقد يكون ظاهرًا، بحرف من حروف العطف، كالفاء أو الواو، والأغلب أن يكون حرف الواو(29). قال الجرجانيّ عن الفصل والوصل: "وقد بلغَ من قوة الأمر في ذلك أنّهم جعلوه حدًا للبلاغة، فقد جاء عن بعضهم أنه سُئل عنها(30) فقال: "معرفةُ الفصلِ من الوصل"، ذاك لغموضه ودقة مَسْلكه، وأنّه لا يكمُل لإحراز الفضيلة فيه أحد، إلا كمَل لسائر معاني البلاغة"(31).

والاستئناف دون وصل أبلغ في الكلام؛ فوجود الواو وعدم وجودها يعطي للكلام دلالة؛ لأن الواو قد تحتمل معاني، وقد تعطي معنى غير معنى الاستئناف، كأن تكون حاليّة أو عاطفة على ما قبلها.

د. الفرق بين الاستئناف النحويّ والاستئناف البيانيّ:

عند الحديث عن الاستئناف البياني يتبادر إلى الذهن المعنى الذي يربط بين جملتين نحويّتين، العلاقة العامليّة والإحاليّة بينهما غائبة، والعلاقة الظاهرة بينهما هي تمام الانفصال.

وبعد الوقوف على المعنى الاصطلاحيّ للاستئناف البيانيّ لا بدّ من الوقوف على المعنى الاصطلاحي للاستئناف النحويّ والتفريق بينهما، تمهيدًا لفهم الشواهد القرآنيّة التي ستُدرس في ثنايا هذا البحث.

*** الاستئناف النحويّ:**

فبناءً على ما تقدّم من المعنى اللغوي؛ فإنّ المعنى الاصطلاحي للاستئناف النحويّ – والنحو علم الجملة – هو تلك الجملة المبتدأُ بها الكلام، سواء أكان مصدّرًا بها أم لم يكن، وقد استخدم النحويون مصطلح الجملة الابتدائية والجملة الاستئنافية للدلالة على ذلك، على أنّ بعضهم وخاصة المحدثين منهم فرّقوا بينهما، فالابتدائية عندهم، هي التي تكونُ في مُفتَتح الكلام، والاستئنافيّة، هي التي تقع في أثناء الكلام، منقطعةً عمّا قبلَها، لاستئناف كلام جديد،(32) ووصف ابن هشام "الاستئنافية" بأنّها أوضح فقال عن الجملة "الابتدائية: وتسمى أيضًا المستأنفة وهو أوضح لأن الجملة الابتدائية تطلق أيضًا على الجملة المصدرة بالمبتدأ ولو كان لها محل"(33) وهو – بذلك – قسّم الجملة الاستئنافيّة إلى

---

(28) خاصة في القرآن الكريم .

(29) لأنّ "الواو" تفيد الجمع والمشاركة في الحُكم. .

(30) أي: عن البلاغة.

(31) دلائل الإعجاز، (ج1/ ص 222).

(32) انظر جامع الدروس العربية (ج3/ ص287).

(33) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ص 500) .

نوعين: "أحدهما الجملة المفتتح بها النطق كقولك ابتداءً (زيد قائم) ومنه الجمل المفتتح بها السور، والثاني الجملة المنقطعة عما قبلها نحو (مات فلان رحمه الله)"(34)

يتّضح من هذا كلّه أنّ منهج النظر في نصٍّ ما، يبيّن الاختلاف بين الاستئناف البيانيّ والاستئناف النحويّ بين جمله؛ فالفرق بين الاستئنافَين هو وجود العلاقة العامليّة بين الجمل من عدمه؛ ففي الاستئناف النحْويّ لا بدّ من وجود العلاقة العامليّة بين جملتين، وأمّا في الاستئناف البيانيّ فليس شرطًا وجود تلك العلاقة، وتربط بين جمله علاقات التماسك والتوافق والانسجام، كما ينضاف إلى ذلك ضوابط أخرى مثل الضابط الدلاليّ والضابط التداوليّ والبنية الكبرى الكلّيّة للخطاب والإحالة التكراريّة.

وقد يتشابه الاستئناف النحويّ والاستئناف البيانيّ من حيث تركيب الجمل؛ فالاستئناف البيانيّ هو بالضرورة استئناف نحويّ، ذلك أنّ الجملة تأتي منقطعةً عن سابقتها أو متصلة بها بطريقة أو بأخرى، ولكنّ الفرق بينهما في المعنى الذي يؤديه ترابط تلك الجمل فيما بينها؛ فجملة الاستئناف البيانيّ فيها إجابة عن تساؤل ناشئ من وجود الجملة السابقة لها، فهي جملة معلِّلة لسابقتها، الأمر الذي من الممكن عدم نشوئه بين جملتين ليس بينهما ذلك الرابط المعنويّ.

ومجمل القول: إن الاستئناف النحويّ يمهّد للاستئناف البيانيّ، فلا يكون في الكلام استئناف بيانيّ إلا إذا كان في أصله استئنافًا نحويًا، وهذا لا يعني – بالضرورة – أنّ الاستئناف النحويّ يكون استئنافًا بيانيًّا.

وممّا يوضح هذا ما استشهد به ابن هشام من أمثلة في حديثه عن الاستئناف النحْويّ والاستئناف البيانيّ، فمن الأوّل: (الاستئناف النحْويّ): قوله تعالى: [وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ * لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى](35)، حيث علّق على هذا بقوله: إنما هي للاستئناف النحْوي ولا يكون استئنافًا بيانيًا لفساد المعنى، ومن الثاني: (الاستئناف البيانيّ): قول الشاعر:

زَعَمَ العَواذِلُ أَنَّني في غَمْرَةٍ صَدَقوا، ولكنْ غَمْرَتي لا تَنْجَلي

حيث علّق بقوله: فإنّ قوله: صدقوا، جوابٌ لسؤال مقدّر تقديره أصدقوا أم كذبوا؟ (36)

وسيأتي تفصيل ذلك وبيانه من آية سورة آل عمران المختارة، شاهدةً على ظاهرة الاستئناف البيانيّ في القرآن الكريم.

هـ. في ظلال سورة آل عمران:

سورة آل عمران سورة مدنيّة تأتلف من مئتي آية، وفيها موضوعات: أحدها: تقرير حقيقة التوحيد جلية ناصعة، والردّ على الشبهات التي يلقيها أهل الكتاب، سواء منها ما هو ناشئ من انحرافاتهم في معتقداتهم، أو ما يتعمدون إلقاءه في الصف المسلم من شبهات لخلخلة العقيدة، وتصحح لهم ما أصاب عقائدهم من انحراف وخلط وتشويه، وتدعوهم إلى الحق الواحد الذي تضمنته كتبهم الصحيحة التي جاء القرآن بصدقها. وهذا المقطع الأول يستغرق حوالي نصف السورة. أما المقطع الثاني في السورة فهو خاص بغزوة أحد، وهو يشتمل كذلك على تقريرات في حقائق التصور الإسلامي والعقيدة الإيمانية، وعلى توجيهات في بناء الجماعة المسلمة على أساس تلك الحقائق، إلى جانب استعراض الأحداث والوقائع، والخواطر والمشاعر. وعلاقة هذا المقطع بالمقطع الأول في السورة ظاهرة؛ فهو يتولى بناء التصور الإسلامي

(34) المرجع السابق، (ص 500) .

(35) الصافات 7، 8.

(36) انظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، (ص501، 502).

وتجليته، وتثبيت هذه الجماعة على التكاليف المفروضة على أصحاب دعوة الحق في الأرض، مع تعليمهم سنة الله في النصر والهزيمة.

وفي ختام السورة تلخيص لموضوعاتها الأساسية، يبدأ بإشارة موحية إلى دلالة هذا الكون وإيحاءاته للقلوب المؤمنة، ثم تجيء الاستجابة من الله – سبحانه – فيذكر فيها الهجرة والجهاد والإيذاء في سبيل الله، وفيه إشارة وعلاقة بغزوة أحد وأحداثها وآثارها، ثم يذكر أهل الكتاب – الذين استغرق الحديث عنهم مقطع السورة الأول – ليقول للمسلمين إن الحق الذي بأيديهم لا يجحده أهل الكتاب كلهم، فإن منهم من يؤمن به ويشهد بأحقيته.

وتختم السورة بدعوة المسلمين – بإيمانهم – إلى الصبر والمصابرة والمرابطة والتقوى، وهو ختام يناسب جو السورة وموضوعاتها جميعا(37).

ثانيًا:

الاستئناف البيانيّ في الآية السابعة من سورة آل عمران

بيّن العلماء مواضع الاستئناف في الآيات الكريمة من السورة، وكانوا يتفقون على بعض تلك المواضع تارةً ويختلفون عليها تارة أخرى، أهي من باب الاستئناف أم من غيره؛ فيرى أحدهم أن في ذلك الموضع استئنافًا، ويرى آخرُ غير ذلك معللاً وموضحًا لرأيه، وقد يكون للعالم نفسه رأيان في موضع، فيذكر فيه احتمالين؛ الاستئناف وغيره.

وبذلك فإنّ الباحث سيتناول . مجتهدًا . هذا الشاهد المختار من هذه السورة الكريمة مجليًا مواضع الاستئناف فيه، ومبرزًا آراء العلماء المختلفة في مدلولات تلك المواضع ومرجّحًا ما يطمئن إليه قلبه منها، مرتكزًا في ذلك على اللغة؛ نحوِها وصرفها وبلاغتها، وهي كما يأتي:

قال تعالى: [هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَاب]

في هذه الآية الكريمة غير موضع يدلّ على استئناف الكلام فيه. وقد اتّفق العلماء والمفسّرون في بعض تلك المواضع واختلفوا في غيرها، وسيتناول الباحث هذه المواضع وسيبحث في توافق مدلولاتها واختلافها عند أولئك العلماء؛ ففي قوله تعالى في مطلع هذه الآية الكريمة: "هو الذي أنزل عليك الكتاب" يرى بعض المفسرين ومنهم الطاهر بن عاشور أنّها "استئناف ثالث بإخبار عن شأن من شؤون الله تعالى، متعلق بالغرض المسوق له الكلام: وهو تحقيق إنزاله القرآن والكتابين من قبله، فهذا الاستئناف مؤكد لمضمون قوله: نزل عليك الكتاب بالحق [آل عمران: 3] وتمهيد لقوله: منه آيات محكمات"(38)

ولم يذكر آخرون فيما اطّلع عليه الباحث من أقوال العلماء والمفسّرين أنّ هذا الموضع من مواضع الاستئناف في الآية الكريمة.

---

(37) انظر في ظلال القرآن (ج1/ ص352، 353، 356).

(38) التحرير والتنوير (ج3/ ص 153).

ويرى الباحث أنّ هذا استكمال لمظاهر قدرة الله تعالى في خلقه الواردة في الآية السابقة، وهو معنى من معاني الاستئناف الذي ورد في مستهلّ هذا البحث.

وفي قوله تعالى في الآية الكريمة نفسها: "منه آياتٌ محكمات" رأى بعض المفسّرين أنها تأتي بوجهٍ من الوجوه جملة استئنافيّة، ومن هؤلاء السمين الحلبيّ الذي رأى فيها وجهين؛ فقال: "وفي الجملةِ على هذا وجهان، أحدهما: أنها مستأنفةٌ. والثاني: أنها في محلِّ نصب على الحال من «الكتاب» أي: هو الذي أنزل الكتاب في هذه الحال أي: منقسماً إلى مُحْكَم ومتشابه"(39) ومنهم الشوكانيّ، الذي قال"وقوله: منه آيات محكمات... الجملة: حالية في محل نصب، أو مستأنفة لا محل لها،(40) ومنهم أبو حيّان الأندلسيّ، إذ يقول: "وقوله: منه آيات محكمات إلى آخره... الجملة حالية، ويحتمل أن تكون جملة مستأنفة"(41).

ويميل الباحث إلى أنّ هذا الموضع ليس فيه استئناف بل هو من باب الحال فالجملة: "منه آيات" اسميّة تامّة الركنين بيّنت حال الكتاب الذي أنزله الله تعالى على نبيّه أنّ فيه آياتٍ محكمات.

وفي قوله سبحانه بعد ذلك: "هنّ أمّ الكتاب وأخر متشابهات" فمن العلماء من يرى أنّها جملة مستأنفة أو أنّها جملة صفة، حيث يقول السمين الحلبيّ: "و {هُنَّ أُمُّ الكتاب} يجوز أن تكونَ الجملةُ صفةً للنكرة قبلها، ويجوز أن تكونَ مستأنفةً"(42).

قلت: وما قيل في قوله تعالى: "منه آيات محكمات" يقال في: "هُنَّ أمّ الكتاب" حيث يعتقد الباحث أنّها جملة صفة من باب: "الجمل بعد النكرات صفات، وبعد المعارف أحوال".

وفي قوله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة: "وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كلّ من عند ربّنا".

وفي قوله سبحانه بعد ذلك: "وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كلّ من عند ربّنا"، يظهر دور الاستئناف البياني بوضوح كأداة لربط الجمل وتوضيح المعنى ضمن سياق النص. نجد مواضع متفرقة لهذا النوع من الاستئناف كما ورد في أقوال النحاة والمفسرين، حيث تم تصنيف هذه المواضع وتحليلها للوصول إلى رؤية كلية وشاملة لوظائفه البلاغية والنحوية.

"الرُّسوخ: الثُّبوتُ والاستقرار ثبوتاً متمكِّناً فهو أخصُّ من مطلقِ الثبات"(43)

"والراسخون في العلم: الثابتون فيه العارفون بدقائقه، فهم يحسنون مواقع التأويل، ويعلمونه(44).

"واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، وهل "الراسخون" معطوف على اسم "الله"، بمعنى إيجاب العلم لهم بتأويل المتشابه، أمْ هم مستأنَفٌ ذكرهم، بمعنى الخبر عنهم أنهم يقولون: آمنا بالمتشابه وصدّقنا أنّ علم ذلك لا يعلمه إلا الله؟

---

(39) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون.

(40) فتح القدير للشوكاني (ج1/ ص360).

(41) البحر المحيط في التفسير (ج3/ ص25).

(42) الدر المصون.

(43) المرجع السابق.

(44) التحرير والتنوير (ج3/ ص164).

فقال بعضهم: معنى ذلك: وما يعلم تأويل ذلك إلا الله وحده منفردًا بعلمه. وأما الراسخون في العلم، فإنهم ابتُدئ الخبر عنهم بأنهم يقولون: آمنا بالمتشابه والمحكم، وأنّ جَميع ذلك من عند الله"(45)؛ فالذي عليه الأكثر أنه مقطوع عمّا قبله، وأن الكلام تمّ عند قوله: (إلا الله) هذا قول ابن عمر، وعائشة، وعروة بن الزبير، وعمر بن عبد العزيز، وغيرهم، وهو مذهب الكسائي، والفراء، والأخفش، وأبي عبيد، وحكاه ابن جرير الطبري عن مالك، وحكاه الخطابي عن ابن مسعود(46).

"حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال، حدثنا خالد بن نزار، عن نافع، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قوله: "والراسخون في العلم يقولون آمنا به"، قالت: كان من رسوخهم في العلم أن آمنوا بمحكمه ومتشابهه، ولم يعلموا تأويله (47)، وحدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: كان ابن عباس يقول: (وما يعلم تأويله إلا الله ويقول الراسخون [في العلم] آمنا به)" (48) (49).

"وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم، وهم مع علمهم بذلك ورسوخهم في العلم يقولون: "آمنا به كلّ من عند ربنا".

ذكر من قال ذلك: "حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس أنه قال: أنا ممن يعلم تأويله (50)، و"حدثني محمد بن عمرو قال، حدثنا أبو عاصم، عن عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: "والراسخون في العلم" يعلمون تأويله، ويقولون:"آمنا به""(51) (52).

وممّن قال بالعطف الزمخشريّ؛ حيث يقول: "أي لا يهتدى إلى تأويله الحق الذي يجب أن يحمل عليه إلا اللَّه وعباده الذين رسخوا في العلم، أى ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع. ومنهم من يقف على قوله إلا اللَّه، ويبتدئ والراسخون في العلم يقولون.

والأوّل هو الوجه. ويقولون: كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ أى بالمتشابه كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنا أى كل واحد منه ومن المحكم من عنده، أو بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند اللَّه الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه وَما يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبابِ مدح للراسخين بإلقاء الذهن وحسن التأمّل. ويجوز أن يكون (يَقُولُونَ) حالا من الراسخين"(53). وممّن قال بالعطف كذلك الطاهر بن عاشور؛ حيث يقول: ولذا فقوله: والراسخون معطوف على اسم الجلالة، وفي هذا العطف تشريف عظيم: كقوله: شهد الله أنه لا إله إلا هو

---

(45) تفسير الطبري = جامع البيان، (ج6/ ص201).

(46) فتح القدير، (ج1/ ص362).

(47) رقم الحديث عند الطبري: 6626.

(48) رقم الحديث عند الطبري: 6627.

(49) تفسير الطبري = جامع البيان، (ج6/ ص202).

(50) رقم الحديث عند الطبري: 6632.

(51) رقم الحديث عند الطبري: 6633.

(52) تفسير الطبري = جامع البيان، (ج6/ ص203).

(53) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (ج1/ ص338).

والملائكة وأولوا العلم[54]، وعلى هذا فليس في القرآن آية استأثر الله بعلمها. ويؤيد هذا أن الله أثبت للراسخين في العلم فضيلة. ووصفهم بالرسوخ، فآذن بأن لهم مزية في فهم المتشابه: لأن المحكم يستوي في علمه جميع من يفهم الكلام، ففي أي شيء رسوخهم، وقيل: الوقف على قوله: إلا الله وإن جملة والراسخون في العلم مستأنفة، وهذا مروي عن جمهور السلف على أن أصل العطف هو عطف المفردات دون عطف الجمل، فيكون الراسخون معطوفا على اسم الجلالة فيدخلون في أنهم يعلمون تأويله. ولو كان الراسخون مبتدأ وجملة: «يقولون ءامنا به» خبرا، لكان حاصل هذا الخبر مما يستوي فيه سائر المسلمين الذين لا زيغ في قلوبهم، فلا يكون لتخصيص الراسخين فائدة.

وفي قوله: وما يذكر إلا أولو الألباب إشعار بأن الراسخين يعلمون تأويل المتشابه[55]. "قال أبو جعفر: فمن قال القول الأول في ذلك، وقال: إن الراسخين لا يعلمون تأويل ذلك، وإنما أخبر الله عنهم بإيمانهم وتصديقهم بأنه من عند الله، فإنه يرفع" الراسخين في العلم" بالابتداء في قول البصريون، ويجعل خبره: "يقولون آمنا به". وأما في قول بعض الكوفيين، فبالعائد من ذكرهم في"يقولون". وفي قول بعضهم: بجملة الخبر عنهم، وهي: "يقولون".

ومن قال القول الثاني، وزعم أنّ الراسخين يعلمون تأويله، عطف بـ "الراسخين" على اسم"الله"، فرفعهم بالعطف عليه.

قال أبو جعفر: والصواب عندنا في ذلك أنهم مرفوعون بجملة خبرهم بعدهم وهو:"يقولون"، لما قد بينا قبل من أنهم لا يعلمون تأويل المتشابه الذي ذكره الله عز وجل في هذه الآية، وهو فيما بلغني مع ذلك في قراءة أبيّ: (وَيَقُولُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ) كما ذكرناه عن ابن عباس أنه كان يقرأه.

وفي قراءة عبد الله: (إِنْ تَأْوِيلُهُ إِلا عِنْدَ اللَّهِ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ)"[56]. واعترض الشوكاني فقال: "فإن الراسخين في العلم على القول بصحة العطف على الاسم الشريف يعلمونه في كل حال من الأحوال لا في هذه الحالة الخاصة، فاقتضى هذا أن جعل قوله: يقولون آمنا به حالا، غير صحيح، فتعين المصير إلى الاستئناف والجزم بأن قوله: والراسخون في العلم مبتدأ، خبره: يقولون ومن جملة ما استدل به القائلون بالعطف: أن الله سبحانه مدحهم بالرسوخ مدحهم بالرسوخ في العلم، فكيف يمدحهم وهم لا يعلمون ذلك؟ ويجاب عن هذا بأن تركهم لطلب علم ما لم يأذن الله به، ولا جعل لخلقه إلى علمه سبيلا هو من رسوخهم، لأنهم علموا أن ذلك مما استأثر الله بعلمه، وأن الذين يتبعونه هم الذين في قلوبهم زيغ، وناهيك بهذا من رسوخ....

ومن أهل العلم من توسط بين المقامين فقال: التأويل يطلق ويراد به في القرآن شيئان: أحدهما: التأويل بمعنى: حقيقة الشيء وما يؤول أمره إليه، ومنه قوله: (هذا تأويل رؤياي)[57]. وقوله: (هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله)[58] أي: حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد، فإن أريد بالتأويل هذا فالوقف على الجلالة، لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمه إلا الله عز وجل، ويكون قوله: والراسخون في العلم مبتدأ، ويقولون آمنا به خبره. وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر وهو التفسير والبيان والتعبير عن الشيء كقوله: نبئنا بتأويله أي: بتفسيره،

([54]) آل عمران: 18.

([55]) التحرير والتنوير (ج3/ ص164، 165).

([56]) تفسير الطبري = جامع البيان، (ج6/ ص204).

([57]) يوسف 100.

([58]) الاعراف 53.

فالوقف على: والراسخون في العلم لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار، وإن لم يحيطوا علما بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه، وعلى هذا فيكون: يقولون آمنا به حالا منهم"(59).

وتلخص في إعراب والراسخون وجهان: أحدهما: أنه معطوف على قوله: الله، ويكون في إعراب: يقولون، وجهان: أحدهما: أنه خبر مبتدأ محذوف. والثاني: أنه في موضع نصب على الحال من الراسخين، كما تقول: ما قام إلا زيد وهند ضاحكة.

والثاني: من إعراب: والراسخون، أن يكون مبتدأ، ويتعين أن يكون: يقولون، خبرا عنه، ويكون من عطف الجمل(60).

واعلم أن هذا الاضطراب الواقع في مقالات أهل العلم أعظم أسبابه اختلاف أقوالهم في تحقيق معنى المحكم والمتشابه(61).

وبعد هذا الأخذ والردّ في أقوال العلماء والمفسّرين في جملة: "والراسخون في العلم" يطمئن الباحث إلى القول الأوّل من أقوال أهل العلم وهو أنّ هذه الجملة هي جملة مستأنفة ابتدائيّة، وأن الكلام الأوّل انتهى معناه ومؤدّاه عند قوله تعالى: ((وما يعلم تأويله إلّا الله)) وأنّ الخبر حاصل في جملة "يقولون".

فإضافة إلى ما جاء من أقوال سابقة تؤيّد هذه الرأي يرى الباحث:

- أنّ الآية الكريمة استعملت أسلوب الحصر، فجيء بـ(ما) النافية و(إلّا) لتأكيد الحصر في لفظ الجلالة "الله" وإلّا فإنّه لو فهم غير ذلك من أنّ الراسخين في العلم يعلمون التأويل لقيل: ويعلم تأويله الله والراسخون في العلم.
- أنّ جملة "والراسخون في العلم" جاءت مناظِرة للجملة التي سبقتها "فأمّا الذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله" وهؤلاء الراسخون في العلم يناظرون مَن في قلوبهم زيغ، وألّا علاقة بينها وبين جملة "وما يعلم تأويله إلّا الله" وأنّ هذه الجملة جملة معترضة؛ فالأصل في غير القرآن الكريم: "الذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، والراسخون في العلم يقولون آمنّا به كلّ من عند ربّنا".

فهذا وجه مقارنة بين الفريقين، وما يؤيّد هذا الرأي انتهاء الآية الكريمة بالفاصلة: "وما يذّكّر إلّا أولو الألباب".

- "في تحليل نصوص سورة آل عمران باستخدام برمجية"AntConc" ، تم تحديد الروابط النصية مثل استخدام أدوات العطف والتكرار الدلالي في مواضع الاستئناف البياني، جملة {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} تظهر كنقطة انقطاع دلالي، ويتكرر فيها الضمير العائد على {التأويل} 3 مرات في النص، مما يشير إلى تكامل موضوعي بين المحكم والمتشابه".

بينما قدم هذا البحث تفسيرًا تحليليًا قائمًا على فهم الباحث للآية وسياقها الدلالي من خلال مصادر تراثية باستخدام المنهج الوصفي التحليلي كأداة رئيسية لتحليل النصوص القرآنية، حيث قام الباحث بوصف الاستئناف البياني وتفسير معانيه ودوره البلاغي والنحوي في الآية السابعة من سورة آل عمران، اعتمادا على المقارنة بين الاستئناف البياني والنحوي لتوضيح الاختلافات البلاغية والدلالية. استخدم البحث الحالي مصادر التراث البلاغي والنحوي وقدم تحليلا للجمل الاستئنافية في القرآن مستعيناً بالأمثلة النصية من القرآن الكريم، وخاصة الآية السابعة من سورة آل عمران، كمحور للتحليل البلاغي والدلالي. ووصل لفهم العلاقة بين الجمل وربطها بمفهوم التماسك النصي من خلال تحليل

(59) فتح القدير، (ج1/ ص363).

(60) البحر المحيط في التفسير (ج3/ ص30).

(61) فتح القدير، (ج1/ ص364).

دور كل من الاستئناف النحوي والبياني باستخدام أداة مهمة هي المقاربة بين النحو والبلاغة. وقام باستقراء وتحليل أقوال المفسرين والنحاة والبلاغيين لإبراز وجهات النظر المختلفة حول مفهوم الاستئناف البياني.

الخاتمة:

بعد الانتهاء من البحث يشير الباحث إلى أهمّ النتائج التي توصّل إليها فيه، وهي كما يأتي:

1. الاستئناف البيانيّ هو تلك الإفادة التي تحصل للمتلقّي (السامع أو القارئ) بعد قول غير مكتمل المعنى لديه، وأنّ الجملة الاستئنافيّة جملة معلّلة؛ تعلّل ما قبلَها، والفرق بينه وبين الاستئناف النحْويّ هو وجود العلاقة العامليّة بين الجمل من عدمه؛ ففي الاستئناف النحْويّ لا بدّ من وجود العلاقة العامليّة بين جملتين، وأمّا في الاستئناف البيانيّ فليس شرطًا وجود تلك العلاقة، وتربط بين جمله علاقات التماسك والتوافق والانسجام، كما ينضاف إلى ذلك ضوابط أخرى مثل الضابط الدلاليّ والضابط التداوليّ والبنية الكبرى الكلّيّة للخطاب والإحالة التكراريّة.
2. قد يتشابه الاستئناف النحويّ والاستئناف البيانيّ من حيث تركيب الجمل؛ فالاستئناف البيانيّ هو بالضرورة استئناف نحويّ، ذلك أنّ الجملة تأتي منقطعةً عن سابقتها أو متصلة بها بطريقة أو بأخرى، ولكنّ الفرق بينهما في المعنى الذي يؤديه ترابط تلك الجمل فيما بينها؛ فجملة الاستئناف البيانيّ فيها إجابة عن تساؤل ناشئ من وجود الجملة السابقة لها، فهي جملة معلّلة لسابقتها، الأمر الذي من الممكن عدم نشوئه بين جملتين ليس بينهما ذلك الرابط المعنويّ.
3. آيات القرآن الكريم في سورة آل عمران – على اختلاف موضوعاتها – يربط بينها خيط يصنع الوحدة العضوية في تلك السورة الكريمة يظهر حينًا ويختفي حينًا آخر.
4. الاستئناف البيانيّ ظاهر في كثير من المواضع في آيات السورة – خاصّة في الآية السابعة منها – اتّفق العلماء على بعضها، واختلفوا على أخرى؛ إن هي من الاستئناف البيانيّ أم من غيره.
5. لكلّ موضع من مواضع الاستئناف في سورة آل عمران معنى خاصّ ينفرد به، ويختلف عن غيره من المواضع.
6. يضفي الاستئناف البيانيّ قيمة بلاغيّة على النصّ – أيّ نصّ –.
7. للباحث آراء في المواضع التي بحثها بالدراسة التطبيقيّة في الآية السابعة من سورة آل عمران توصّل إليها بعد الوقوف على تفسير الآية الكريمة وتحليل مواضع الابتداء والوقف فيها أثبتها في مظانّها.
8. توصل الباحث إلى أن الاستئناف البياني يعد من المفاهيم المشتركة بين علمي النحو والبلاغة، وأن ندرة الدراسات المستقلة حول هذا المصطلح قد أعاقت تقديم صورة متكاملة لأهميته. وقد نجح البحث في جمع ما تبعثر من المعلومات في كتب النحاة والمفسرين ضمن إطار موحد، مستفيدًا من الأدوات الحديثة لتقديم رؤية واضحة حول دوره في تحقيق التماسك النصي وأداء المعنى

إن إجراء مزيد من الدراسات التي تجمع بين النهج التقليدي والتحليل الرقمي سيؤدي لتعميق فهم الاستئناف البياني. لذا يُقترح توسيع نطاق البحوث ليشمل آيات قرآنية أخرى. حيث يمكن للبحوث ذات النهج التقليدي أن توجه البرمجيات لتحديد المواضع الدلالية ذات الأهمية. ويعزز البحث الرقمي التحليل النوعي بإظهار الأنماط النصية المخفية.

ثَبَت المصادر والمراجع

1. **القرآن الكريم**

The Holy Quran

2. ابن الأبار، محمد البلنسي. ديوان ابن الأبار. قراءة وتعليق: عبد السلام الهراس. 1999.

Ibn Al-Abbar, Muhammad Al-Balansi. Diwan Ibn Al-Abbar. Edited and commented by: Abd Al-Salam Al-Harras. 1999.

3. ابن حنبل، أحمد. مسند الإمام أحمد ابن حنبل. حققه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط وآخرون. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الرسالة؛ 1995-2001.

4. Ibn Hanbal, Ahmad. Musnad Al-Imam Ahmad Ibn Hanbal. Edited and commented by: Shu'ayb Al-Arna'ut and others. 1st ed. Beirut: Al-Risalah Foundation; 1995-2001.

5. ابن عاشور، محمد. التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر؛ 1984. 30 جزء.

Ibn Ashur, Muhammad. Al-Tahrir wa Al-Tanwir. Tunis: Tunisian Publishing House; 1984. 30 volumes.

6. ابن مالك، أنس. المدونة الكبرى. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية؛ 1994. 4 أجزاء.

Ibn Malik, Anas. Al-Mudawwanah Al-Kubra. 1st ed. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah; 1994. 4 volumes.

7. ابن منظور، محمد. لسان العرب. الطبعة الثالثة. بيروت: دار صادر؛ 1414 هـ. 15 جزء.

Ibn Manzur, Muhammad. Lisan Al-Arab. 3rd ed. Beirut: Dar Sadir; 1414 AH. 15 volumes.

8. ابن هشام، عبد الله. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله. الطبعة السادسة. دمشق: دار الفكر؛ 1985.

Ibn Hisham, Abdullah. Mughni Al-Labib 'An Kutub Al-A'arib. Edited by: Mazen Al-Mubarak, Muhammad Ali Hammad Allah. 6th ed. Damascus: Dar Al-Fikr; 1985.

9. أبو حيان، محمد بن يوسف. البحر المحيط في التفسير. تحقيق: صدقي محمد جميل. بيروت: دار الفكر؛ 1420 هـ.

Abu Hayyan, Muhammad Ibn Yusuf. Al-Bahr Al-Muhit Fi Al-Tafsir. Edited by: Sidqi Muhammad Jamil. Beirut: Dar Al-Fikr; 1420 AH.

10. التنوخي، محمد بن عمرو. الأقصى القريب في علم البيان. الطبعة الأولى. مطبعة السعادة؛ 1909-Al.

Tanukhi, Muhammad Ibn Amr. Al-Aqsa Al-Qareeb Fi Ilm Al-Bayan. 1st ed. Sa'ada Press; 1909.

11. الجاحظ، عمرو بن بحر. البيان والتبيين. بيروت: دار ومكتبة الهلال؛ 1423 هـ. 3 أجزاء.

Al-Jahiz, Amr Ibn Bahr. Al-Bayan wa Al-Tabyin. Beirut: Dar wa Maktabat Al-Hilal; 1423 AH. 3 volumes.

12. الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. دلائل الإعجاز في علم المعاني. تحقيق: محمود محمد شاكر. الطبعة الثالثة. القاهرة: مطبعة المدني، جدة: دار المدني؛ 1992.

Al-Jurjani, Abd Al-Qahir Ibn Abd Al-Rahman. Dalail Al-I'jaz Fi Ilm Al-Ma'ani. Edited by: Mahmoud Muhammad Shakir. 3rd ed. Cairo: Al-Madani Press, Jeddah: Dar Al-Madani; 1992.

13. الجوهري، إسماعيل بن حماد. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. الطبعة الرابعة. بيروت: دار العلم للملايين؛ 1987. 6 أجزاء.

Al-Jawhari, Ismail Ibn Hammad. Al-Sihah Taj Al-Lughah wa Sihah Al-Arabiyyah. Edited by: Ahmad Abd Al-Ghafur Attar. 4th ed. Beirut: Dar Al-Ilm Lil-Malayin; 1987. 6 volumes.

14. الحملاوي، أحمد بن محمد. شذا العرف في فن الصرف. شرح وفهرسة: عبد الحميد هنداوي. الطبعة الخامسة. بيروت: دار الكتب العلمية؛ 2002.

Al-Hamawi, Ahmad Ibn Muhammad. Shadha Al-A'raf Fi Fan Al-Sarf. Edited by: Abd Al-Hamid Handawi. 5th ed. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah; 2002.

15. الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن. مسند الدارمي المعروف بـ(سنن الدارمي). تحقيق: حسين سليم أسد الداراني. الطبعة الأولى. الرياض: دار المغني؛ 2000.

Al-Darimi, Abdullah Ibn Abd Al-Rahman. Musnad Al-Darimi known as (Sunan Al-Darimi). Edited by: Hussein Salim Asad Al-Darani. 1st ed. Riyadh: Dar Al-Mughni; 2000.

16. الزمخشري، محمود بن عمرو. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. الطبعة الثالثة. بيروت: دار الكتاب العربي؛ 1407 هـ. 4 أجزاء.

Al-Zamakhshari, Mahmoud Ibn Amr. Al-Kashaf 'An Haqaiq Ghawamid Al-Tanzil. 3rd ed. Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi; 1407 AH. 4 volumes.

17. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. بيروت: دار الكتب العلمية؛ 1994.
Al-Samin Al-Halabi, Ahmad Ibn Yusuf. Al-Durr Al-Masun Fi Ulum Al-Kitab Al-Maknun. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah; 1994.
18. سيبويه، عمرو بن عثمان. الكتاب. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون. الطبعة الثالثة. القاهرة: مكتبة الخانجي، مطبعة المدني؛ 1988-1996.
Sibawayh, Amr Ibn Uthman. Al-Kitab. Edited and explained by: Abd Al-Salam Muhammad Harun. 3rd ed. Cairo: Al-Khanji Library, Al-Madani Press; 1988-1996.
19. سيد قطب، إبراهيم حسين. في ظلال القرآن. الطبعة السابعة عشرة. بيروت – القاهرة: دار الشروق؛ 1412 هـ.
Sayyid Qutb, Ibrahim Hussein. Fi Zilal Al-Quran. 17th ed. Beirut – Cairo: Dar Al-Shorouk; 1412 AH.
20. الشوكاني، محمد بن علي. فتح القدير. الطبعة الأولى. دمشق – بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب؛ 1414 هـ.
Al-Shawkani, Muhammad Ibn Ali. Fath Al-Qadir. 1st ed. Damascus – Beirut: Dar Ibn Kathir, Dar Al-Kalim Al-Tayyib; 1414 AH.
21. الشوكاني، محمد بن علي. نيل الأوطار. تحقيق: عصام الدين الصبابطي. الطبعة الأولى. مصر: دار الحديث؛ 1993. 8 أجزاء.
Al-Shawkani, Muhammad Ibn Ali. Nail Al-Awtar. Edited by: Issam Al-Din Al-Sabbati. 1st ed. Egypt: Dar Al-Hadith; 1993. 8 volumes.
22. الشيباني، محمد بن الحسن. الحجة على أهل المدينة. تحقيق: مهدي حسن الكيلاني القادري. الطبعة الثالثة. بيروت: عالم الكتب؛ 1403 هـ. 4 أجزاء.
Al-Shaybani, Muhammad Ibn Al-Hasan. Al-Hujjah Ala Ahl Al-Madina. Edited by: Mahdi Hasan Al-Kilani Al-Qadiri. 3rd ed. Beirut: Alam Al-Kutub; 1403 AH. 4 volumes.
23. الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان في تأويل القرآن. تحقيق: أحمد محمد شاكر. الطبعة الأولى. بيروت: مؤسسة الرسالة؛ 2000. 24 جزء.
Al-Tabari, Muhammad Ibn Jarir. Jami' Al-Bayan Fi Ta'wil Al-Quran. Edited by: Ahmad Muhammad Shakir. 1st ed. Beirut: Al-Risalah Foundation; 2000. 24 volumes.
24. الغلاييني، مصطفى بن محمد. جامع الدروس العربية. الطبعة الثامنة والعشرون. صيدا – بيروت: المكتبة العصرية؛ 1993.
Al-Ghalayini, Mustafa Ibn Muhammad. Jami' Al-Durus Al-Arabiyyah. 28th ed. Sidon – Beirut: Al-Maktabah Al-Asriyyah; 1993.
25. القزويني، محمد بن عبد الرحمن. الإيضاح في علوم البلاغة. تحقيق: إبراهيم شمس الدين. الطبعة الأولى. بيروت: دار الكتب العلمية؛ 2003.
Al-Qazwini, Muhammad Ibn Abd Al-Rahman. Al-Idah Fi Ulum Al-Balagha. Edited by: Ibrahim Shams Al-Din. 1st ed. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah; 2003.
26. مجمع اللغة العربية بالشارقة. المعجم التاريخي للغة العربية. قيد الإنجاز. الشارقة؛ 2020.
Arabic Language Academy in Sharjah. The Historical Dictionary of the Arabic Language. In progress. Sharjah; 2020.
27. مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار. المعجم الوسيط. القاهرة: دار الدعوة؛ 1972.
Arabic Language Academy in Cairo, Ibrahim Mustafa, Ahmad Al-Zayyat, Hamid Abd Al-Qadir, Muhammad Al-Najjar. Al-Mu'jam Al-Wasit. Cairo: Dar Al-Da'wah; 1972.
28. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. معجم الدوحة التاريخي. قيد الإنجاز. الدوحة؛ 2013.
Arab Center for Research and Policy Studies. Doha Historical Dictionary. In progress. Doha; 2013.
29. مطلوب، أحمد. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. الطبعة الثانية. بيروت – لبنان: مكتبة لبنان ناشرون؛ 2007.
Matlub, Ahmad. Dictionary of Rhetorical Terms and Their Development. 2nd ed. Beirut – Lebanon: Librairie du Liban Publishers; 2007.
30. الهاشمي، أحمد بن إبراهيم. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي. بيروت: المكتبة العصرية؛ 1999. جزء واحد.
Al-Hashimi, Ahmad Ibn Ibrahim. Jawahir Al-Balagha Fi Al-Ma'ani wa Al-Bayan wa Al-Badi'. Edited and verified by: Yusuf Al-Sumaili. Beirut: Al-Maktabah Al-Asriyyah; 1999. 1 volume.